Received: 1 / 4 / 2019 Accepted: 16 / 4 / 2019 Published: 10 / 10 / 2024

التسامح بين أطياف المجتمع العراقي في العصر العثماني 1534-1918

م.د.علي طالب عبيد السلطاني

ali.taleb@iku.edu.iq

كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة/أقسام بابل

الملخص

احتل الأتراك العثمانيون غالب البلاد العربية – من الخليج إلى المحيط – زهاء أربعة قرون من الزمان، ولم يكن العرب قبل هذا الاحتلال بعيدين كل البعد عن الأسلوب التركي في الحكم والسياسة وفي الفكر وضروب الحياة الأخرى.

فقد قامت في العراق مثلاً، وقبل الاحتلال العثماني، دويلات تنتسب من قريب أو بعيد إلى المغول أو التتار، وكلهم في مصطلح التاريخ العربي أقوام من الترك. وقبل قيام هذه الدويلات، سيطرت أقوام تركية على مقدرات الأمور في بغداد وغيرها من المناطق والمدن العراقية المختلفة، وحاولت هذه الاقوام احداث تغيير في التركيبة المجتمعية العراقية خلال المدة الزمنية –عنوان البحث– وهي ١٥٣٤– ١٩١٨. إلا أن مختلف طبقات المجتمع العراقي كانت قد أدت دورها الكبير في المحافظة على الموروث الثقافي من خلال مواجهتها للمؤثرات الخارجية الأجنبية الدخيلة، على الرغم مما في العنصر التركي من حب للتحكم والسيطرة، ومما في طبع حكامها من شدة وقسوة، وقد ورث المجتمع العراقي من العثمانيين الأتراك عاداتهم وسلوكهم من أقوال ورسوم وأفعال، ما زالت تنخر في الموروث العراقي كله، وتعمل فيه هدما وتمزيقا، وهو ما ترك اثارا فكرية ونفسية في المجتمع العراقي بسبب أشكال الحكم العثماني في السياسة والإدارة ونظرته إلى القيم الاجتماعية والمثل الاخلاقية.

الكلمات المفتاحية: الاتراك – العثمانيين – المجتمع – البلاد

Tolerance among the spectrum of Iraqi society in the Ottoman era 1534-1918

Dr. Ali Talib Obaid Al-Sultani

Imam Al-Kadhim University College of Islamic Sciences, peace be upon him, Babylon Departments

Abstract

The Ottoman Turks occupied most of the Arab Countries from the Gulf to the Ocean - for nearly four Centuries. Before this occupation, the Arabs were not far removed from the Turkish style of Rule, Politics, Thought, and other forms of life It had raised in Iraq for example, and before the of Roman occupation -mini-state affiliated with close or distant to the Mongols or Tatars, all of them, •in i the terminology of Arab history ar. People of Turks, Before the establishment of these mini-states, Turkish peoples controlled the affairs of Baghdad and other various Iraqi regions and cities, and these Peoples tried to bring about a change in the Various Iraqi Societal composition during the Period of timer The Research title: 1534-1918-unless the various classes of Iraq Society had played a major Role in preserving the cultural heritage intrusive by confronting intrusive for Ring influences. Although despite what is the Turkish like to Control and Rules, and in the style of Rules violent and Powerful. The Iraqi Society inherited.

Key word: Turkish- Ottoman – Society - Contrary

المقدمة

قال موحد ألمانيا (المستشار بسمارك): ليس بوسعنا أن نتجاهل تأريخ الماضي، ولا أن نصنع المستقبل، كما وليس بمقدورنا تقديم عقارب الساعة للتعجيل من إنسياب الزمن، ولذلك فإننا لا نصنع التأريخ، بل ننتظره ليصنع نفسه، وإذا ما حاولنا إنضاج ثمره المقطوع قبل أوانه، فمعناه أننا لم نحل دون نموه ونضوجه فحسب، بل إننا سنكون سبباً في إتلافه.

من تلك المقولة يحق لنا أن ننطلق في بناء أنفسنا أولاً، لنتمكن بالتالي من بناء وطننا الجريح بالشكل الذي يُمكن من خلاله التأهيل النفسي والعلمي الصحيح للأجيال القادمة، وقديماً ذكر أهلنا الكبار) :زرعوا فأكلنا، وعلينا أن نزرع ليأكلوا).

كان المجتمع العراقي وخلال تشكيل الإدارة العثمانية في المرحلة التأريخية (1534–1918)، يتألف من خليط سكاني غير متجانس، إجتمعت فيه الديانات السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام)، فضلاً عن وجود أقليات مختلفة، مضافاً إليها التركيبة العشائرية التي كانت سائدة آنذاك، والمتكونة من عشائر عربية وكردية ومن سكان بغداد الأصليون، فأما العرب فكان أغلبهم من بني أسد وخفاجة وعبادة وعقيل وزبيد، وإمتدت أراضي تلك الأقوام على طول الطرق المؤدية الى بغداد والى مداخلها الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية، لاسيما القريبة من نهري دجلة والفرات، وقد إعتنق أكثرهم العقيدة الشيعية الإمامية الأثنا عشرية الجعفرية (نسبة إلى الإمام جعفر الصادق)، وعلى يد العديد من المجتهدين الشيعة المشهورين، الذين ينتمون إلى واحدة من الأسر الدينية، من أمثال آل القزويني، وآل الحكيم، وآل الصدر، وآل الشيرازي، وغيرهم. أما الأكراد، فإن أغلبهم كانوا منحدرون من قبيلة جاوان الكردية المعروفة، وإلى الآن إحتفظت أكثر من واحدة من محلات بغداد القديمة بإسم تلك الجماعات القبلية فعرفت (بمحلات الأكراد).

وبقيت تلك العشائر ورجالاتها تحتفظ بعاداتها المتوارثة القديمة، كالاعتزاز بالنسب، وعادات أخذ الثأر، وديات القتل وغيرها، فكانت السمة الظاهرة في علاقاتها مع الحكومة العثمانية تتعلق بالإلتزام (بدفع الضرائب). الأمر الذي أوجد وعلى الدوام نوعاً من العداء المستمر بينهما، لاسيما في الأوقات التي تضعف فيها الحكومة ومعها تضعف الحضارة والمدنية، ومعها أيضاً ينعدم النظام والقانون وتعم الفوضى والإضطراب، فتنتهز تلك الجماعات القبلية هذه الفرصة محاولة إحلال نفسها محل الحكومة. ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن معظم تلك القبائل وفي ساعات المحن والشدائد، تتفق وتتوحد مع بعضها ضد الحكومة، وهو ما يعني وجود نوعاً من الإتحاد القبلي بينها والذي برز بشكل واضح ومؤثر خلال مدة حكم الوالي العثماني محمد نامق باشا(1851–1852)، آخذين بنظر الإعتبار أن لتلك العشائر من الأسباب ما يجعلها تعلن العصيان والثورة وخاصة فيما يتعلق بجمع الضرائب والأتاوات.

كما أن من الأمور التي أثرت على المجتمع العراقي في المرحلة التأريخية– موضوع البحث– ما يتعلق بالصراع الفارسي– العثماني على الولايات العراقية وخاصة بغداد، التي كانت لها سناجق (محافظات) عديدة تابعة لها، وأدى ذلك الصراع إلى بروز الصراع الطائفي في المجتمع العراقي ككل، والذي حاول الطرفان المتنافسان تأجيج ناره بإستمرار، ومما يدعوا للأسف والحزن هنا، هو أن ذلك الصراع إستند على العصبية وليس على الدين.

ضعف الحكومات العثمانية المتعاقبة على حكم العراق، وعدم إهتمامها بتقديم الخدمات للأهالي، لشعورها الدائم بأنها غريبة عنهم، أوجد بين أطياف سكانه نوعاً من القوة والتوحد في مواجهة بعض الظروف الإجتماعية الصعبة وبخاصة ظهور الأوبئة والأمراض التي حصدت أرواح الآلاف من الضحايا، صاحبها تدهور نظام الري وتطهير الأنهار وكريها، جعل تلك القوة وذلك التوحد يميلان إلى الصراع الطبقي الفردي بين طبقات المجتمع المختلفة، وكان سببه الصراع الكبير على المصدر الأول لميزانية الدولة آنذاك، وهي الإستيلاء على الأراضي الصالحة للزراعة.

وعليه فإننا نعتقد بأن الصراعات الإجتماعية التي عاشتها مجتمعاتنا العراقية السابقة، كانت بالنسبة لها هي معركة الحياة من أجل البقاء، وليس الغاية منها التناحر والتنافس الطائفي المبني على الدين، وهو ما سنحاول عرضه وتوضيحه في الصفحات التالية.

أولاً: الدين عنوان التوحد والتعايش السلمي لا عنوان الفرقة والتطرف

مارس العراقيون أنشطتهم الدينية من خلال مؤسساتهم الدينية، التي كانت تابعة للأوقاف العثمانية المنتشرة في معظم مدن العراق، ومع أنه لا يوجد فصل واضح بين المهام الدينية والمدنية في الدولة الإسلامية، فإنه لم يكن من مهام الدولة العثمانية آنذاك الإهتمام رسمياً بالخدمات العامة، ولا حتى في إنشاء المساجد والجوامع وصيانتها (السرحان و السلطاني، 2012، صفحة 62) (رؤوف، 1988، صفحة 288). ربما يعلل عدم الإهتمام هذا من جانب الدولة، هو أن مهام الخدمات العامة كانت موكلة إلى مؤسسة غير رسمية من مؤسسات الدولة العثمانية، وهي مؤسسة(الأوقاف) المشار إليها أعلاه.

كانت الأعياد والمناسبات الإجتماعية التي قامت في المجتمع العراقي آنذاك، دليلٌ واضح على وحدته وتماسكه، إذ إشتركت معظم عناصره في الإحتفالات الخاصة بأعياد كل فئة أو طائفة، ومن تلك الأعياد هي التي إتخذت طابعاً دينياً مميزاً إشترك الناس فيها مشاركة فعالة، ومنها رؤية شهر رمضان وهلال العيدين (الفطر والأضحى) (أحمد، 1988، صفحة 26). فضلاً عن تلك الأعياد،

فإن إحتفالات الزواج وختان الأطفال، مارستها الطوائف المختلفة كلٌ حسب اعتقاداته وتقاليده الموروثة، إلاّ أنها أشَرت بين طياتها لقوة وتماسك ذلك المجتمع. وذكر أحد المصادر التأريخية، أنه وبخاصة في المدن، فإن طقوس الزواج الخاصة بالطائفة الشيعية يقوم والد العريس بتوجيه الدعوة إلى أكثر أقربائه وإلى الوجوه المعروفة في محلتهم بما فيهم اليهود والمسيحيين، ويُحدد موعد معين للذهاب سويةً إلى أهل العروس، وبعد قراءة سورة الفاتحة، التي تعني موافقة أهل العروس على إقتران إبنتهم بالعريس المتقدم، يذهبوا في اليوم التالي إلى مجلس الشرع الشريف [1(*)](البكري، 1937، صفحة 34/ ج3)، لإتمام مراسيم عقد الزواج (سليمان، 1982، صفحة 197). علماً أنه وفي زمن الدولة العثمانية، كان المذهب الحنفي السُني، هو المذهب الرسمي في أرجاء الإمبراطورية العثمانية كافة، وبذلك فإن الحكومة نفسها كانت هي من تقوم بتعيين القضاة والمُفتين على مختلف السناجق، وهو ماحصل في إحدى سناجق ولاية بغداد وهو سنجق الحلة التي جاء إليها(آل الرحبي)[2(*)] (رؤوف ع.، د.ت، الصفحات 128–129) (الدروبي، 2001، صفحة 136) (الحيدري، 1999، صفحة 93)، ليتولوا منصب الإفتاء فيها (العلوجي و عواد، 1983، الصفحات 176–178). يبدو مما سبق قوله أن ذهاب العروسين الشيعة لمجلس الشرع الشريف التابع للحكومة ماهو إلاّ دليلٌ واضح على قوة التماسك الإجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد، وهم بذلك بعيدين كل البعد عن توجهات الحكومة وقوانينها.

ومن الجدير بالذكر هنا، أن الزواج بين العروسين في المناطق البدوية، بل وحتى مناطق الأرياف المحيطة بمدينة بغداد مثلا، كانت تأخذ طابعها وشكلها الشرعي بمجرد قيام رجل الدين، أو ما يطلق علية بالكلام الدارج (المومن)، بعقد القران بينهم من دون الحصول على العقد المعروف بعقد الشرع الشريف، وذلك بسبب قلة ارتباط وموالاة العشائر للحكومة في تلك المرحلة (السرحان و السلطاني، 2012، صفحة 60).

وخلافاً للعادة الجارية آنذاك والتي مفادها بأن يتزوج الغني من الغنية، والمتوسط الحال من المتوسطة الحال، والفقير من الفقيرة، نجد أن كثيرا من مدن العراق كسرت هذه العادة في بعض الأحيان، إذ نجد أن هناك من العوائل الشيعية أو السُنية المسلمة منّ زوجت ابنتها لشاب مسيحي نصراني، أو أن يتزوج ابنها من فتاة مسيحية، فتبدأ تلك العلاقة الزوجية بإرسال النيشان[3(*)] (عيسى، 1914، الصفحات 113–115/ ج3–4) من الطرفين المتفقين (الحمداني، 2013، صفحة 78).

إضافة إلى ذلك، فإن المناسبات الدينية مثل عاشوراء كانت قد عكست وحدة المجتمع العراقي وتماسكه في تلك المرحلة الحرجة من تأريخ العراق الحديث، وذكر أحد كبار السن أن زوجته قد حدثته بأن والدتها روت لها حكاية مفادها: أن إحدى النساء اليهوديات كانت تأتي إلى بيوت المسلمات أيام عاشوراء من أجل اللطم والنواح على سيد الشهداء الإمام الحسين "عليه السلام" وتذهب مع الملّة أو(الملّية) إلى كل بيت تذهب النسوة إليه، وغالباً ما تكون هذه البيوت للنسوة أنفسهن اللاتي يجتمعنّ لإقامة المأتم أو العزاء، وهي

---

[1](*) مجلس الشرع الشريف: ما يشبه المحكمة اليوم، وهو مقر عمل القاضي ومعاونيه من الموظفين الذين يعملون معه، وعلى رأسهم الشهود، ووظيفتهم سماع محضر الدعوى (موضوع التقاضي) وكتابتها، ويعملون تحت إشراف الباش كاتب (رئيس الكتاب)، ثم يأتي الصوباشي (رئيس الشرطة) والذي يستلم أوامر إلقاء القبض على المتهمين موقعاً عليها من القاضي، ويعاونه جماعة من الجند الإنكشارية الرسمية. للمزيد من التفاصيل ينظر: (البكري، 1937، صفحة 34/ ج3).

[2](*) آل الرحبي: أصلهم من رحبة الشام في سورية، إذ كان يطلق على مدينة الرحبة، رحبة الشام أو رحبة مالك بن طوق، الذي أُنشئت على يديه قلعة الرحبة في خلافة المأمون العباسي، وهي غير رحبة العراق(التي هي عين ماء واسعة في الجنوب الغربي من مدينة النجف)، واشتهر آل الرحبي بالفتوى وتعاطي العلوم الشرعية، وجاء قسم منهم إلى العراق مطلع القرن الثامن عشر الميلادي، فسكن بعضهم بهرز من توابع محافظة ديالى، وسكن بعضهم الآخر في محلتي السنك وباب الأزج(باب الشيخ) في بغداد، ولهم فيها مجلس أدبي عُرف بمجلس(بيت الرحبي)، تصدره الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن علي بن عبد النافع الرحبي النجفي، وهو مفتي الشافعية في بغداد والمتوفى فيها عام 1782م، وقبره الآن بجانب قبر السيد سلطان علي، ولسكن المفتين من آل الرحبي الذين جاءوا إلى الحلة في محلة جبران، ولأن مهنتهم(صنعتهم)كانت القضاء، فقد صار لقب أُسرة آل الرحبي هو(قاضي جبران)، بدلاً من الرحبي، لاسيما وأن كثيراً من العوائل كانت قد تسمّت بإسم المهنة(الصنعة)التي مارستها. للمزيد عن آل الرحبي ينظر: (رؤوف ع.، د.ت، الصفحات 128–129) (الدروبي، 2001، صفحة 136) (الحيدري، 1999، صفحة 93)

[3](*) النيشان: لفظة فارسية الأصل استعملها نصارى العراق بمعنى إكمال رسم الخطبة وتلبيس الخاتم للعروسيين. ينظر: (عيسى، 1914، الصفحات 113–115/ ج3–4).

تحمل كأساً(كوباً) لتشرب به الماء، إعتقاداً منها أن المسلمات لا يشربنّ من نفس الكوب التي تشرب منه لأنها بنظرهم كافرة(نكسة) (الجادرجي، 1976، صفحة 66).

ورغم نسبتهم العددية الكبيرة في بغداد وفي أكثر مدن العراق، لاسيما الوسطى والجنوبية، إلاّ أن الشيعة عوملوا ومنذ العهد العثماني كأقلية دينية (سالم، 2013، صفحة 47). وهناك من يرى أن كون العثمانيين على المذهب الحنفي، فإنهم ساروا في العراق على تأكيد المذاهب السُنية الأربعة(الحنفي، والمالكي، والحنبلي، والشافعي)، مستثنين من تلك الرعاية المذهب الجعفري، الذي يمثل أتباعه القسم الأكبر من السكان (سالم، 2013، صفحة 48). في حين يرى آخر، أن الدولة العثمانية كانت تنظر بعين العداء إلى الطائفة الشيعية، ولم تسمح لها بالوصول إلى المناصب العُليا في الحكومة بما في ذلك دخول أفرادها في المدارس العسكرية التي عُدت حينها بأنها الأهم في ذلك الوقت (هومي، 1954، صفحة 176)ت أكبر مشكلة واجهها الشيعة مع الدولة العثمانية، هي إتهامهم بالتبعية لبلاد فارس(إيران)، والطعن بعروبة تشيعهم، في وقت عملت فيه الحكومات المتعاقبة على حكم العراق في المرحلة العثمانية على وصول السُنة إلى المناصب والمراتب العُليا في الدولة ضمن إعتبارات الولاء الشخصي للحاكم المُنصب من الناحيتين الطائفية والمناطقية، وهو ما أسهم في تعزيز النزعة الطائفية المبطنة في السياسة العراقية، رافقه حصولهم على الإمتيازات والمؤهلات التي مكنتهم من إداء دورهم التأريخي المهم في رسم تلك السياسة المقيتة (سالم، 2013، صفحة 50).

ومن الأمور الأخرى التي عكست وحدة المجتمع العراقي بصورة عامة، هي إنطلاق قافلة الحج العراقي من إحدى توابع ولاية بغداد وهي مدينة الحلة، إذ كان لموقع المدينة الجغرافي وسط العراق، وضيق نهر الفرات(شط الحلة) فيها، أن أصبحت قاعدة لتجمع قافلة موكب الحج العراقي وانطلاقها[4(*)] (السلطاني، 2009، صفحة 106). وطريق الحج من العراق إلى مكة المكرمة لم يكن للعراقيين وحدهم، بل كان لهم وللإيرانيين وما وراء النهر(الهند والسند)، والأزبك والطاجيك والأفغان (الراوي، 1947، صفحة 116) (الشناوي، 1980، الصفحات 58–59). وكان ركب الحج العراقي يتحرك من المدينة التي يقيم فيها الخليفة أو الملك أو الأمير، فقد تحرك من الكوفة ومن واسط ومن بغداد ومن الموصل ومن النجف ومن الحلة، وكانت له مراسيم وآداب وأوقاف وصدقات وحرس وحماية وإمارة وعلم للإمارة (آل عبدالجليل، 1990، صفحة 2).

وحرص العثمانيون على إدارة شؤون قوافل الحج بأنفسهم، ومنها قافلة الحج العراقي، التي أولوها إهتماماً خاصاً لأسباب سياسية ودينية (رافق، 1974، صفحة 327). وفيما يتعلق بالجانب السياسي، فقد حرصت الدولة العثمانية على الإنفراد بإعداد قوافل الحج، وعدته مظهراً من مظاهر قوتها السياسية، وتأكيداً لزعامة السلطان العثماني على العالم الإسلامي، أما الناحية الدينية، فإن الدولة العثمانية نظرت إلى الحج على إنه ركن أساس من أركان الدين الإسلامي، ولكونها ولي الأمر في ذلك بإدعائها أنها حامية الإسلام والمدافع الحقيقي عنه، لذا فإن من واجبها الشرعي تنظيم قوافل الحج إلى الحجاز والإشراف عليه (رافق، 1974، صفحة 308). يمكن القول أن السطوة السياسية للدولة العثمانية في كل ماله علاقة بتنظيم شؤون الحج، كانت واضحة بالنسبة للبلدان التي خضعت لها ومنها العراق.

واستأثرت أنباء الحج العراقي بجانب كبير من إهتمام الأهالي في الحلة، التي صار لها لون من القدسية أو الشرف، فأصبحت تدعى(حلّة شريف) (مؤلف مجهول، 1954، صفحة 109). إذ كان يقع على عاتق المدينة مسؤولية إستقبال الأعداد الكبيرة من الحجاج وإيوائهم وتموينهم، وهم من مختلف الجنسيات الذين كانوا يجتمعون فيها في وقت محدد من كل سنة إستعداداً للسفر إلى الحرمين الشريفين (السلطاني، 2009، صفحة 110) (السرحان، 2012، صفحة 36).

واستفادت المدينة من تلك المسؤولية فائدة كبيرة من الناحية الإقتصادية، فقد كانت مواسم الحجيج مواسم للتجارة أيضاً، حيث إعتاد أكثر الحجاج الغرباء أن يحملوا معهم كثيراً من منتجات بلدانهم لبيعها في أسواق الحلة والإستعانة بثمنها على إداء نفقات الحج (عمر، 2001، صفحة 20). كما أن الكثير منهم يبادلون تلك المنتجات بمنتجات حلّية(عراقية)، فجمعوا بذلك بين المتاجرة وإداء الفريضة

[4](*) كانت الدولة العثمانية تشرف على أربع قوافل حج رئيسية، وكانت تلك القوافل من حيث الأهمية العددية: قافلة الحج الشامي، وتضم حجاج بلاد الشام والجزيرة وأذربيجان والقوقاز والقرم والأناضول والبلقان وحجاج إسطنبول نفسها، ثم قافلة الحج المصري، وتضم حجيج مصر وشمالي أفريقيا، ثم قافلة الحج العراقي، وتضم حجاج العراق وبلاد فارس وما وراء النهر والأفغان، ثم قافلة الحج اليمني، وتضم حجيج اليمن وماليزيا وأندنوسيا. للمزيد ينظر: (السلطاني، 2009، صفحة 106).

(السلطاني، 2009، صفحة 110) (السرحان، 2012، صفحة 37). وهكذا كانت خانات[*5] (عبدالجليل، 2006) (نوري، 2007، صفحة 68) الحلة وأسواقها تمتلئ وتعج بخليط عجيب من الناس وأصناف البضائع والإبل والخيل ودواب الحمل، فتروج فيها حركة تجارية واسعة (السلطاني، 2009، صفحة 111).

وشهد القرن الثامن عشر، وتحديداً في عام 1704م، تسلم يوسف بك(أمير الحلة)، إمارة الحج العراقي، فصار يعرف(أمير الحلة والحج)[*6] (الدروبي إ.، 1958، صفحة 60)(نوري، 2007، صفحة 14). وتجدر الإشارة هنا، إلى أن أهل الحلة كانوا ينتظرون وصول قافلة الحج الفارسي(الإيراني) بإهتمام كبير، خاصة إذا كانت كثيرة العدد، لأنهم يجلبون معهم(روبيات ذهبية، ولؤلؤ كبير وصغير، وأحجار كريمة، ومعادن نفيسة، وشالات وغيرها) (مؤلف مجهول، 1954، صفحة 114) (السرحان، 2012، صفحة 37). وكان منصب أمير الحج من المناصب المهمة في الدولة العثمانية، إذ يأتي بعد منصب أمير السنجق السنجق بكي(المحافظ)، والدفتردار[*7] (جب و بوين، 1997، صفحة 165/ ج1)، وإن وظيفة أمير الحج أضفت على صاحبها جانباً من الفخامة والأبهة والفخامة، لاسيما وإنه يحمل رتبة السنجقية والتي يشار إلى حاملها بلقب (بك أو أمير) (أوزتونا، 1988م، صفحة 211).

مما تقدم أعلاه، يمكن القول أن قافلة الحج العراقي التي إنطلقت من مدينة الحلة إلى الديار المقدسة في تلك المرحلة الزمنية، لها من الأهمية من حيث العدة والعدد، وأنها لدليلٍ كافٍ عن التعايش السلمي والتسامح المجتمعي الذي عاشته أطياف المجتمع آنذاك، وإلاّ بماذا نفسر إختيار أمير الحلة (وهو سُني المذهب)، ليكون رئيساً لتلك القافلة المتجمعة في منطقة ربما عُدّت حينها بأنها كانت تدفع ضريبة قربها من الأماكن المقدسة (النجف وكربلاء)، إذ أن غالبية سكانها العظمى من الشيعة، فضلاً عن مشاركة بقية الأقليات من يهود ومسيحيين في تلك الحركة التجارية الواسعة.

ثانياً: البناء العشائري عاملاً آخر في التوحد

احتفظت العشائر العراقية بتنظيم خاص، إرتكز إلى وحدة النسب والعصبية التي تُعطي إلتزامات وحقوق بين أبنائها، عملت على فض الخلافات والنزاعات التي تقع بينهم، وتُعد العشيرة في المجتمع القبلي، الأساس المهم الذي ينضوي تحت لوائه الأفراد، القاطنون في ديرتهم التي عُدت منطقة السيادة والزعامة لهم (الطاهر، 1972، صفحة 37).

ومحور الزعامة العشائرية يمثله رئيس أعلى يعرف بالشيخ بالنسبة للقبيلة الواحدة، في حين كان الآغا يمثل الزعامة العشائرية في المنطقة الشمالية، وهناك أيضاً شيخ المشايخ والذي يمثل إتحاداً عشائرياً تنضوي تحت زعامته أكثر من عشيرة واحدة، كما وبقيت المشيخة متوارثة في أسرة معينة حتى وإن تدخلت الدولة في إختيار الشيوخ، وكان رئيس العشيرة أو رئيس الإتحاد العشائري، هو القائد العسكري الأعلى الذي يقود عشائره في ساحات الصراع والحرب (الأنصاري، 1998، صفحة 49).

من المهم أن نشير هنا، إلى أن شيوخ العشائر وفي أغلب مناطق العراق بما فيها المنطقة الشمالية الكردية، تمتعوا بسلطة مطلقة استطاعوا من خلالها الاستحواذ على أملاك من يريدون، ويضعون نهاية لحياة من يشاءون، الأمر الذي مكنهم بالتالي من بسط

---

[5](*) خانات: مفردها خان، وهي لفظة معربة إشتقت من كلمة (خون)، وتعني لقب السلطان عند الأتراك، ويرى البعض أنها تحريف لكلمة (حانوت) الآرامية المشتقة من كلمة (حته) العبرانية، ومعناها خيّم وأقام ونزل وحلّ، في حين يرى قسم آخر إن مفردة(خان)، مرادفة لكلمة (قيروان سراي) التركية الأصل، أو (كرفان سراي) وتعني النزل والفندق، وكلما تعددت الآراء بأصل الكلمة تعددت أيضاً بمعناها، فهي تعني الحانوت، كما تدل على المتجر والمكان الخاص بالتجار أي محل إقامتهم وتجارتهم، وتعني أيضاً منزل المسافرين والقوافل، وكلمة(خان) مرادفة لكلمة فندق أو الوكالة أو القيصرية أو الربع. للمزيد من التفاصيل ينظر: (عبدالجليل، 2006) (نوري، 2007، صفحة 68).

[6](*) لا تذكر المصادر التأريخية شيئاً عن الكيفية التي حصل بها يوسف بك على سنجق الحلة، إلاّ أنه من المرجح أن يكون يوسف بك أو والده محمد ياسين جلبي جاءوا مع حملة السلطان العثماني مراد الرابع لإستعادة بغداد من أيدي الفرس عام1638م، إذ كان من ضمن القوات التي شاركت في تلك الحملة، القوات العشائرية بزعامة مطلك أبو ريشة (شيخ عشائر الجزيرة)، حيث ضمت قواته مجموعة من العشائر المتحالفة معه ومنها شمر والعبيد، وقد كافأ السلطان من شارك معه في تلك الحملة، فأقطع سنجق الحلة ليوسف بك، الذي توفي عام1762م، ودفن تحت الميزاب الذهبي عند مرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "عليه السلام". للمزيد ينظر: (الدروبي إ.، 1958، صفحة 60)(نوري، 2007، صفحة 14).

[7](*) الدفتردار: مصطلح عثماني مأخوذ من الفارسية، وهو مركب من دفتر العربية، ودار التي تعني صاحب، فيكون معناها صاحب الدفتر، وهو المفتش العام لسجلات الملكيات الخاصة والتعديلات التي تحدث على ملكية الإقطاعيات. للمزيد ينظر: (جب و بوين، 1997، صفحة 165/ ج1).

سيطرتهم على الجميع. إذا ما علمنا أن العشائر الكردية تتشابه مع قريناتها العربية في وسط العراق وجنوبه، حتى من ناحية تأثير العامل الديني فيهم، لذلك نجد أن الأسرة ذات النسب الشريف نالت احتراماً في المجتمع القبلي، كما هو الحال بالنسبة لشيوخ المنتفق، وعند الأكراد الحالة ذاتها، إذ يحظى الرئيس ذو الصفة الدينية لديهم بمكانة مرموقة، لذا فقد تعددت في كردستان الألقاب ذات المضمون الديني، مثل الشيخ والملا (خصباك، 1972، صفحة 380).

وعندما أرادت الحكومة العثمانية فرض سيطرتها المركزية على هذه القبائل، فقد دخلت معها في صراع طويل امتد حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، استهدف إضعاف التشكيلات العشائرية والاتحادات القبلية، وذلك بإستخدام سياستها التقليدية القائمة على ضرب العشائر بعضها ببعض عن طريق كسب أحدها إلى جانب السلطة العثمانية، أو عن طريق خلق منافس دائمي لكل شيخ من الشيوخ ومن بين أعضاء أسرة الشيخ نفسها (الفهد، 2002م، صفحة 177). من المؤكد أن الدولة العثمانية كانت تسعى من خلال سياستها تلك إلى ضرب الوحدة القبلية بين العشائر المختلفة لكي يسهل عليها بسط السيطرة والنفوذ عليها.

كان إتحاد قبائل المنتفق من أقوى الإتحادات القبلية المتنفذة، فكان يهيمن على رقعة جغرافية واسعة إمتدت من السماوة والكوت حتى القرنة، فكان بذلك أكبر وأعقد مشكلة قبلية واجهتها حكومة بغداد، التي كانت لها توابع سياسية وجغرافية عديدة آنذاك، خلال النصف الثاني من القرن التاسع، إذ فشلت جميع محاولات الإدارة العثمانية في ضمان إستقرارهم ودوام ولائهم للسلطة العثمانية (الفهد، 2002م، صفحة 178) (نوار، 1968، الصفحات 164-176).

أما عشائر طي وزبيد وبنو لام وشمر طوكه، فإن علاقاتها مع السلطات العثمانية كانت ذات طابع عدائي بشكل عام، في حين نجد أن قبيلة عنزه عُدت حينها بأنها من أكبر الأحلاف القبلية عدداً وأهم سطوة في شمال الجزيرة العربية وسيطرتها على طريق الصحراء من النجف إلى هيت، لاسيما الطريق الذي يربط بغداد بدمشق وفرضها للأتاوات (الخاوة) على القوافل التجارية والمسافرين وعليها تتوقف حرية الإتصال بين العراق وسورية، كما كانت عشيرة الظفير في الجنوب الغربي تتحكم في المواصلات والطرق المؤدية إلى نجد، وعشيرة شمر الجربا تهيمن على منطقة الجزيرة المحصورة بين نهري دجلة والفرات، إضافة إلى عشائر أخرى كالخزاعل والبوعجد المتحكمة في الملاحة النهرية، فضلاً عن العشائر الكردية التي كانت تمارس نفوذاً واسعاً وسيطرة مطلقة في شمال العراق (سلمان، 1989، صفحة 22). وبالإقرار بأنه في نطاق كل مجتمع كالمجتمع العراقي مثلاً، يوجد فريقين، أولهما فريق آمر حاكم، وثانيهما فريق مأمور محكوم، الأول يأمر ويقود، والثاني يخضع ويطيع، وقد يكون خضوعه طوعاً أو كرهاً، وبما أن كل مجتمع إنساني ينقسم إلى حاكمين ومحكومين، فإنه وبالرجوع إلى موضوع الإرتباط العام لمكونات تلك العشائر، نجد وبما لا يقبل الشك أن تلك المكونات تكون في مجموعها مجتمعاً واحداً منسجماً فكراً وعملاً، تعلق وبشكل كبير بالحياة الداخلية لتلك المكونات المبنية على أساس التعاون وإغاثة المظلوم (الطاهر، 1953م، صفحة 51).

إن درجة تثبت تلك المكونات ووجود عناصرها في التقسيمات الإدارية للتشكيلة العثمانية سواء كان ذلك في السنجق أو القضاء أو الناحية أو القرية، زاد من كسب ثقة الجهات المتنافسة فيما بينها وأعطاها الأسباب المؤثرة في محاولة إشراكها في حكم البلاد (منهل، 1978، صفحة 127).

كانت تطلعات الولاة العثمانيين المتعاقبين على حكم العراق، تهدف إلى كسب عامة الناس وخصوصاً العشائر، إلاّ أن الأساليب العثمانية في استنزاف موارد البلاد من دون الاهتمام بتنمية تلك الموارد، واستخدام العامل الاقتصادي في الضغط على العشائر التي تثير المشاكل في المناطق المحيطة بمدن العراق، جميعها أسباب رئيسية أججت الصراع العشائري مع الحكومة، لكنها في الوقت نفسه، زادت من وحدة وتماسك تلك العشائر (الريشاوي، 2007، صفحة 181).

من المنطقي جداً الاعتراف بأن عملية الصراع السياسي في مواجهة الخصوم داخل المنطقة الواحدة، دفعت العشائر واعتماداً على طبيعة بناءها القبلي إلى أن تتعت بعضها البعض بصفات ربما انطبقت عليها فقط، فهناك عشائر موالية وأخرى منتفضة، وفي الحالتين، فإن لكل من تلك المكونات المجتمعية قاعدة جماهيرية، وهذه القاعدة هي مجموعة من الناس انضموا إليها طواعيةً ويعملون على الدعوة لها والدفاع عنها (السعدون، 1999، الصفحات 179-180).

ثالثاً: الحياة الثقافية عاملاً آخر للوحدة والتوحد والتعايش السلمي

الثقافة في معناها العام، هي المعرفة أي معرفة الآداب، والفلسفة، والتأريخ، والفنون والمعارف النظرية، وهي بمعناها الخاص، النتائج التي تستخلص من مجموعة الآداب، والفلسفة، والتأريخ، والفنون، والمعارف النظرية من وجهة نظر خاصة عن الحياة، وذكر

أحد الفلاسفة: (الثقافة هي الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات) (عبدالحافظ، 2005، صفحة 25).

لقد أصبحت البلدان التي أدركت الأهمية الأستراتيجة لقضايا الثقافات الشعبية، ودفع الذاتيات الثقافية إلى الإزدهار وإدراجها في الحدث التنموي، فتتمتع اليوم بوضع ممتاز على الصعيدين الإقتصادي والثقافي، بينما أصبحت البلدان التي أهملت هذه الإمور تواجه خيارين أحلاهما مرّ، فإما أن تخضع لفيض من المنتجات والمضامين الثقافية الأجنبية، أو أن تسلك سبيل الحماية باللجوء إلى الإنغلاق (سالم، 2013، صفحة 102).

وأسهم الموروثيين الإجتماعي والديني لمدن العراق المختلفة في تشكيل قيم ومفاهيم سكانها بمختلف إنتماءاتهم وأطيافهم، مما أوجد لهم إنفتاحات متعددة وواسعة، إنصهرت بالتالي في ثقافة واحدة كان الإختلاف بينها في التسمية فقط (سالم، 2013، صفحة 121). علماً أن أغلب الأُسر العلمية والثقافية، حاولت الجمع بين مختلف العلوم الدينية والفلسفية والأدبية، فكانت أُسر البغدادي والنحوي والجاواني والعذاري والكيلاني والكركوكلي والسعدون والبرنسي وغيرها، مثالٌ لتلك الأُسر (نوري، 2007، الصفحات 33-43).

ومما يمكن الإعتقاد به في هذا الشأن، هو أن أصل ثقافة العراقيين عموماً والبغداديين خاصةً، هو الإسلام الحقيقي من خلال القواعد الأخلاقية والسلوكية والإجتماعية التي يحملونها، وإن الرؤيا الشمولية للإسلام تتجاوز العوامل المذهبية، لأنه لا يوجد خلاف أساسي في ظل ثقافة إسلامية تستند إلى فكرة التكامل الإنساني كهدف لوجود الإنسان وغاية لخلقة (سالم، 2013، صفحة 122). وإذا إفترضنا جدلاً، أنه لاتوجد ثقافة تجمع كل العراقيين، بسبب التنوع الطائفي فيها، أو بسبب التنوع القومي، وبسبب الثقافات الموروثة والمكتسبة، مثلما تشمل الثقافة المسيحية مختلف المسيحيين، يمكن لها أن تطغى على المفاهيم القومية والأثنية المكتسبة (pitcher, 1972, p 139).

إن العراق الذي ضمَ في تركيبته السكانية مشارب متعددة كان ولايزال أنموذجاً للتعايش، وتبادل الأفكار، وحرية الرأي، لأنه وحتى ثقافات الأقليات، أية أقلية، هي ثقافة مهمة وأساسية، لأنها بالنتيجة ثقافة عراقية، وإن التنوع الثقافي المعرفي وثقافة الأقليات، هي أجزاء مكملة للثقافة العراقية العامة، كما إن الثقافة الدينية سواء أكانت إسلامية أم يزيدية أم صابئية، هي ثقافة بالغة القدم وليست حالة مرحلية ولا يمكن تلاشيها (القيسي، 1983، صفحة 19).

وعلى الرغم من التعددية الأثنية التي أشرنا إليها، فلم تصطبغ الثقافة العراقية بالأحادية لدرجة الإلغاء التام لروح هذه الأحادية، ولم تنفرد ثقافة معينة لسطوة دين يلغي الآخر، كما لم تكن، العلاقة بين القوميات والأثنيات والطوائف والأديان في العراق علاقة عدائية وعنصرية، إلاّ أن السلطات التي تعاقبت على حكم العراق حاولت أن توهم بأن النزاع الحاصل معها دائماً، هو نزاع أثني أو قومي أو ديني، من أجل إستمرارية تحكمها بمصائر المجتمع (سالم، 2013، صفحة 125). فالأقليات والأكثريات في بغداد مثلا، وفي أغلب مدن العراق الأخرى، لم تكن تحمل من النوايا ما يدفع إلى الفرقة التي لا عودة بعدها، فكثير من المثقفين العراقيين يرفضون إعتبار أن هناك تجزئة للسكان في المدينة أو في الريف، على اعتبار أنها مدينة شعب واحد، هو الشعب العراقي (سالم، 2013، صفحة 126).

وكانت مدن العراق آنذاك قائمة على حرية العيش، ولم تكن رافضه للآخر، فكثيراً ما يتم تقسيم السكان على أساس ديني، فهناك سكان مسلمون هم الأغلبية فيها، وهناك مسيحيون ويهود وصابئة وتركمان ويزيديون وهم القلّة، وتجمع الطرفين قواسم مشتركة كثيرة، أولهما الإيمان بالله وتوحيده، ووحدة المصالح، والمصير، وتجربة الإندماج الإجتماعي، والإقتصادي، والثقافي لقرون عدّة، أما في ما يخص العلاقة بين العرب والأكراد، فإنها علاقة لا تشوبها إلاّ تطلعات النخب السياسية لا غير (نوري، 2007، صفحة 36).

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها بالآتي:-

1- كانت الحلة شأنها بذلك شأن أغلب مدن العراق ومناطقه، ساحة للصراع القومي المغطى بالطائفية، وهو ما جعل تلك المدن الآمنة مكاناً للصراعات الشيعية السنية، والتي لم تحدث بين السكان المحليين إطلاقاً، لكنها حدثت بين المتنازعين أنفسهم، كصراع قومي وديني تنافسي له أبعاده السياسية التي جعلت الدين غطاءً لذاك، وهو ما حصل بالنسبة للصراع العثماني . الفارسي على العراق.

2- حصول الأقليات المختلفة على حقوقها وموروثاتها، لا يمكن لها أن تتحقق إلاّ بشعور الجميع(المسلم وغير المسلم)، بأن الدولة لن تستثني فئة دون سواها، وإن الجميع مصانون ومحترمون.

3- في إعتقادنا أنه لا يوجد في العراق شعب عراقي بعد، بل توجد تكتلات بشرية خالية من أية فكرة وطنية، وهذه التكتلات متشبعة بتقاليد وأباطيل دينية وسياسية لا تجمع بينها جامعة، كما إنها سماعة للسوء وميالة للفوضى، ومستعدة بشكل دائم للإنتفاضة على أية حكومة كانت، ومطلوب منا والحالة هذه، العمل على إعداد شعبٌ نهذبه وندربه ونعلمه، وعلينا كذلك إدراك الجهود الكبيرة التي يجب صرفها لإتمام ذلك الإعداد.

4- إن ظهور قيم هجينة ناتجة من إنتقال الريف إلى المدينة، أسهمت وبشكل كبير في إحلال قيم البداوة محل قيم الحضارة، وشيوع أكثر من قانون في المدينة الواحدة، فالدولة زائداً العشيرة، ثم المؤسسة الدينية، هما الملاذ الآمن الذي لجأ إليه غالبية السكان، مما أتيح لحدوث تعددية كبيرة في الولاءات أمام الإنسان العراقي، كانت نتيجته تحول المؤسسات التربوية والجامعية والعسكرية إلى بؤر كامنة، تمارس فيها الأحقاد، وتترسخ الضغائن بين طبقات المجتمع المختلفة.

5- إن دوامة العنف والصراع الدموي المغطى بإسم الدين، ما كان لها أن تظهر لولا ظهور تنظيمات كالوهابية مثلاً، تنتهج من الإرهاب إسلوباً أكثر من إعتناقها للدين كعقيدة، ومتأثرة بالتجارب الخارجية التي صارت السمة البارزة لهذا العصر.

6- المشكلة العشائرية في العهد العثماني، كانت هي المشكلة المستعصية الحلّ، وبذلك فإن الحالة التصارعية هي السبب الأكثر قبولاً في تمرد تلك العشائر، في حين أن الحلّ الحقيقي كان يتمثل في تهيئة حياة أخرى لهم، يكونون قادرون على قبولها واستيعابها بالشكل الذي يحتويهم.

مصادر البحث:

أحمد، إبراهيم خليل. (1988). الحياة الإجتماعية في ولاية الموصل 1515-1918. جامعة الموصل.

آل عبدالجليل، عدنان أحمد. (1990). آل عبد الجليل أمراء الحلة والحج. بغداد.

الأنصاري، تنين صادق جعفر. (1998). العراق في عهد الوالي سليمان باشا الكبير 1780-1802م دراسة سياسية. كلية الآداب، جامعة البصرة.

أوزتونا، يلماز. (1988م). تاريخ الدولة العثمانية. (عدنان محمود سلمان، المترجمون) استانبول: مطبعة سي.

البكري، إبراهيم مصطفى. (1937). الإفتاء والمفتون في البلاد العربية في العصر العثماني. الإسكندرية: مطبعة الإسكندرية.

الجادرجي، كامل. (1976). من أوراق كامل الجادرجي. بيروت.

جب، هاملتون؛ و هارولد بوين. (1997). المجتمع الإسلامي والغرب. (عبد المجيد حسيب القيسي، المترجمون) دمشق: دار المدى للثقافة والنشر.

الحمداني، طارق نافع. (2013). نصوص بغدادية نادرة الحياة الإجتماعية والإقتصادية لبغداد في المجلات العراقية والعربية. بغداد: دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع.

الحيدري، إبراهيم فصيح. (1999). عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد (المجلد الطبعة الثانية). القاهرة: مكتبة مدبولي.

خصباك، جعفر. (1972). الأكراد دراسة جغرافية أثنوغرافية (المجلد الثانية). بغداد.

الدروبي، إبراهيم عبد الغني. (2001). قضاة بغداد. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

الدروبي، إبراهيم عبدالغني. (1958). البغداديون أخبارهم ومجالسهم. بغداد: مطبعة الرابطة.

رافق، عبدالكريم. (1974). العرب والعثمانيون 1516-1916م. دمشق: مطبعة ألف باء.

الراوي، عبد الجبار. (1947). البادية. بغداد: دار دجلة للطباعة والنشر.

رؤوف، عماد عبد السلام. (د.ت). التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني. بغداد: مطبعة الدار العربية.

رؤوف، عماد عبدالسلام. (1988). الخدمات العامة في المدن العراقية (الحقبة العثمانية) في المدينة والحياة المدنية. بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر.

الريشاوي، متعب خلف جابر. (2007). إمارة الحزاعل في العراق نشأتها وتطورها وعلاقاتها المحلية والإقليمية 1640-1864م. كلية التربية، جامعة القادسية.

سالم، عباس عبود. (2013). بغداد تبوح بأسرارها. بغداد: دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر.

السرحان ، علي كامل حمزة، و علي طالب عبيد السلطاني. (2012). الحلة في عهد الوزراء العثمانيين (1831-1869م) دراسة في الأحوال السياسية والإقتصادية والإجتماعية. جامعة بابل، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية.

السرحان، علي كامل حمزة. (2012). إمارة الحج العراقي في العهد العثماني (1704-1747م) دراسة تأريخية. جامعة بابل، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية.

السعدون، حميد حمد. (1999). إمارة المنتفق. عمان.

السلطاني، علي طالب عبيد. (2009). الحلة في القرن الثامن عشر دراسة في الأحوال السياسية والإدارية والفكرية. كلية التربية، جامعة بابل.

سلمان، محمد عصفور. (1989). العراق في عهد مدحت باشا (1286-1289هـ)-(1869-1872م). كلية الآداب، جامعة بغداد.

سليمان، أحمد السعيد. (1982). الإدارة العثمانية في البلاد العربية. القاهرة: د.مط.

الشناوي، عبد العزيز. (1980). الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. القاهرة: مطبعة بورسعيد.

الطاهر، عبدالجليل. (1953م). المشكلات الإجتماعية في حضارة متبدلة. بغداد: مطبعة دار المعرفة.

الطاهر، عبدالجليل. (1972). العشائر العراقية. بيروت: مطبعة دار لبنان.

عبدالجليل، محمد عبدالجليل. (3 كانون الثاني, 2006). الخانات العراقية وخصوصيتها التاريخية. صحيفة الصباح(العدد (737)).

عبدالحافظ، محمد حسن. (2005). الثقافة الشعبية والمجتمع المدني. بغداد.

العلوجي، عبدالحميد ؛ و كوركيس عواد. (1983). جمهرة المراجع البغدادية. بغداد: مطبعة شفيق.

عمر، سميرة فهمي علي. (2001). إمارة الحج في مصر العثمانية 1517-1798م. دار الكاتب العربي.

عيسى، رزوق. (تشرين الأول, 1914). الزواج عند نصارى بغداد. مجلة لغة العرب.

الفهد، مؤيد أحمد خلف. (2002م). السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية 1750-1869م. كلية الآداب، جامعة البصرة.

القيسي، نوري حمودي. (1983). المقاهي ووظائفها الإجتماعية في بغداد القديمة. مجلة التراث الشعبي(العدد(6.5)).

منهل، علي عجيل. (1978). إنتفاضة عام1832م في العراق ضد العثمانيين. مجلة المورد، مج7(العدد(2)).

مؤلف مجهول. (1954). الدولة العثمانية تاريخ كبير وحضارة باقية. بيروت: مطبعة الجنوب.

نوار، عبدالعزيز سليمان. (1968). تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية جكم مدحت باشا. القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

نوري، خليل إبراهيم. (2007). قطوف حلّية. النجف الأشرف: دار الضياء للطباعة.

هومي، جرجيس جبرائيل. (1954). القوميات العراقية ماضيها وحاضرها. بغداد: مطبعة الإرشاد.

pitcher, D. (1972). *An Historical Geogrphy of the Ottoman Empire from Earlist to the end of the Sixteenth Century*. Cambridge.

Sources

Ahmed, Ibrahim Khalil. (1988). *Social life in the Mosul Province 1515-1918*. University of Al Mosul.

Al Abdul Jalil, Adnan Ahmed. (1990). *Al Abdul Jalil, princes of Hilla and Hajj*. Baghdad.

Al-Ansari, Dragon of Sadiq Jaafar. (1998). *Iraq during the reign of Governor Suleiman Pasha the Great, 1780-1802 AD, a political study*. College of Arts, University of Basra.

Oztuna, Yilmaz. (1988AD). *History of the Ottoman Empire*. (Adnan Mahmoud Salman, the translators) Istanbul: C Press.

Al-Bakri, Ibrahim Mustafa. (1937). *Fatwas and muftis in the Arab countries in the Ottoman era.* Alexandria: Alexandria Press.

Chadirji, Kamel. (1976). *From the papers of Kamil Chadirji*. Beirut.

JP, Hamilton; And Harold Bowen. (1997). *Islamic society and the West*. (Abdul Majeed Hasib Al-Qaisi, The Translators) Damascus: Dar Al-Mada for Culture and Publishing.

Al-Hamdani, Tariq Nafi. (2013). *Rare Baghdad texts: The social and economic life of Baghdad in Iraqi and Arab magazines*. Baghdad: Dar Mesopotamia for printing, publishing and distribution.

Al-Haidari, Ibrahim Fasih. (1999). *Title of glory in the statement of the conditions of Baghdad*, Basra, and Najd (volume, second edition). Cairo: Madbouly Library.

Khasbak, Jaafar. (1972). *The Kurds*: A geographical and ethnographic study (Volume II). Baghdad.
Al-Droubi, Ibrahim Abdel-Ghani. (2001). *Judges of Baghdad*. Baghdad: House of General Cultural Affairs.
Al-Droubi, Ibrahim Abdel-Ghani. (1958). *The Baghdadis*, their news and councils. Baghdad: Association Press.
Rafiq, Abdul Karim. (1974). *The Arabs and the Ottomans 1516-1916 AD*. Damascus: Alif Baa Press.
Narrator, Abdul Jabbar. (1947). *Badia*. Baghdad: Dar Dijlah for Printing and Publishing.
Raouf, Imad Abdel Salam. (d.t.). *Iraqi history and historians in the Ottoman era*. Baghdad: Al-Dar Al-Arabiya Press.
Raouf, Imad Abdel Salam. (1988). *Public services in Iraqi cities (Ottoman era) in the city and civil life*. Baghdad: Dar Al-Hurriya for Printing and Publishing.
Al-Rishawi, tired behind Jaber. (2007). *The Emirate of Al-Haz'al in Iraq, its origins, development, and local and regional relations, 1640-1864 AD*. College of Education, Al-Qadisiyah University.
Salem, Abbas Abboud. (2013). *Baghdad reveals its secrets*. Baghdad: Mesopotamia Printing and Publishing House.
Al-Sarhan, Ali Kamel Hamza, and Ali Talib Obaid Al-Sultani. (2012). *Hilla during the era of the Ottoman ministers (1831-1869 AD)*, a study of political, economic and social conditions. University of Babylon, Babylon Center for Cultural and Historical Studies.
Al-Sarhan, Ali Kamel Hamza. (2012). *The Emirate of Iraqi Hajj in the Ottoman Era (1704-1747 AD) is a historical study*. University of Babylon, Babylon Center for Cultural and Historical Studies.
Al-Saadoun, Hamid Hamad. (1999). *Emirate of Al-Muntafiq*. Oman.
Al-Sultani, Ali Talib Obaid. (2009). *Hilla in the eighteenth century, a study of political, administrative, and intellectual conditions*. College of Education, University of Babylon.
Salman, Muhammad Asfour. (1989). *Iraq during the reign of Midhat Pasha (1286-1289 AH) - (1869-1872 AD)*. College of Arts, University of Baghdad.
Suleiman, Ahmed Al-Saeed. (1982). *Ottoman administration in the Arab countries*. Cairo: Dr. Matt.
El-Shenawy, Abdel Aziz. (1980). *The Ottoman Empire is a slandered Islamic state*. Cairo: Port Said Press.
Al-Taher, Abdul Jalil. (1953 AD). *Social problems in a changing civilization*. Baghdad: Dar Al-Ma'rifa Press.
Al-Taher, Abdul Jalil. (1972). *Iraqi tribes*. Beirut: Dar Lebanon Press.
Abdul Jalil, Muhammad Abdul Jalil. (January 3, 2006). *The Iraqi khans and their historical specificity*. Al-Sabah newspaper (Issue (737)).
Abdel Hafez, Mohamed Hassan. (2005). *Popular culture and civil society*. Baghdad.
Al-Alawji, Abdul Hamid; And Corgis Awad. (1983). *Collection of Baghdadi references*. Baghdad: Shafiq Press.
Omar, Samira Fahmy Ali. (2001). *Emirate of Hajj in Ottoman Egypt 1517-1798 AD*. Dar Al-Katib Al-Arabi.
Issa, Razouk. (October, 1914). *Marriage among the Christians of Baghdad*. Arab Language Magazine.
Al-Fahad, Muayyad Ahmed Khalaf. (2002AD). *Ottoman policy towards the Iraqi tribes 1750-1869 AD*. College of Arts, University of Basra.
Al-Qaisi, Nouri Hamoudi. (1983). *Cafés and their social functions in old Baghdad*. Popular Heritage Magazine (Issue (5-6)).
Manhal, Ali Ajeel. (1978). *Uprising in 1832 AD in Iraq against the Ottomans.* Al-Mawrid Magazine, Volume 7 (Issue (2)).
Anonymous author. (1954). *The Ottoman Empire has a great history and an enduring civilization*. Beirut: South Press.
Nawar, Abdulaziz Suleiman. (1968). *The history of modern Iraq from the end of the rule of Dawud Pasha to the end of Cem Medhat Pasha*. Cairo: Dar Al-Katib Al-Arabi for Printing and Publishing.
Nouri, Khalil Ibrahim. (2007). *Qatuf Haliya*. Al-Najaf Al-Ashraf: Dar Al-Diyaa Printing.
Homi, George Gabriel. (1954). *Iraqi nationalities, their past and present*. Baghdad: Al-Irshad Press.
Pitcher, D. (1972). *An Historical Geography of the Ottoman Empire from Earlist to the end of the Sixteenth Century*. Cambridge.